« فإذا رفعت فالذي في نفسك ما أظهرت ، وإذا نصبت فالذي في نفسك غير ما أظهرت . »[١]

فأساس الرفع أو النصب هو الحركة الدلالية في عقل المبدع ؛ ذلك أن الرفع يقتضي أن يكون المحذوف مبتدأ والذي ظهر هو خبره ، وبما أن المبتدأ هو الخبر في المعنى فكأن الشاعر أراد استعمال خاصة لُغوية في التقابل بين الخفاء والظهور كوسيلة فنية في التعبير عما يريد .

أما النصب فإنه يقتضي أن يكون المحذوف فعلا ، والفعل غير الاسم ، أي أن طبيعة الإخفاء هي العنصر البارز في الأداء تبعًا لمقاصد المبدع و وعيه .

وهذا السياق قد رصده عبد القاهر واعتبره طريقةً فنية للشُّعراء إذا ذكروا الدِّيارَ والمنازل[٢] . وقد تقتضي طبيعة الصياغة الأدبية استعمال هذه الخاصية لكي يتحقَّقَ فيها الإفادة ، بحيث يكون الحذف من أجل الكلام لا من حيث غرض المتكلِّم به ، وذلك كأن يكون المحذوف أحد جزئي الجملة كالمبتدأ في نحو قوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ فلا بد من تقدير محذوف ، ولا سبيل إلى أن يكون له معنى دونه ، سواء كان في التنزيل أو في غيره ، فلو نظرنا إلى (صبر جميل) في قول الشاعر :

يَشْكو إلَيَّ جَمَلي طولَ السُّرى صَبْرٌ جَميلٌ فكِلانا مُبْتَلى

وجدناه يقتضي تقدير محذوف كما في الآية ، والداعي لذلك أن الاسم الواحد لا يفيد ، والصفة والموصوف حكمهما حكم الاسم الواحد ،

---

(١) سيبويه : الكتاب ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

(٢) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ١٧٠ .